



# فارس من زمن الحلم

رواية

إياد حرفوش

# إياد حرفوش





بطاقة الفهرسة

إياد حرفوش

فارس من زمن الحلم

القاهرة، مركز النيل للدراسات الاستراتيجية، 2014

رقم الإيداع: 2014/3103

التاريخ: 2014/1/20م



## إهداء

إلى أبنائي "سيف الدين" و"سلمى"، وإلى كل "سيف" وكل "سلمى" بطول وطننا العربي وعرضه، أهدىكم هذه السلسلة من بطولات "أعلى الرجال". فليس في تاريخنا الضارب في عمق الزمن، ما هو أعلى من هؤلاء الذين ينسفون - حتى بذكراهم - تحرصات الذين افتروا على شعبنا العربي أنه "خانع" وأن أمتنا المحيطة "أمة الهزائم والنكسات!". هؤلاء الذين ما هم منا، وما نحن منهم، للمهزومين في عقر رجولتهم، والمنسحقين في صلب كرامتهم، نقول: ربما لا يكون شعبنا أعظم شعوب الأرض، لكنه قدّم كل ما وسّعه من تضحيات جسام، وثاب عن شعبنا في تقديمها أعلى رجالنا، ممن قدموا أعمارهم قرايماً لمستقبل جيلنا، وأجيال صاعدة آتية، بعدما نسح "أعلى الرجال"، بخيوط الدم والألم، طريقنا الصعب الذي تظلمه رايات النصر المنشود. إليكم، يا أعلى الناس، صفحات من سفر بطولات "أعلى الرجال"، فخطاهم هي - وهي وحدها - المعالم الحقيقية على طريق الجهد .

## هذه السلسلة

منذ منتصف سبعينات القرن العشرين، جرت أكبر حملة تشويه للوعي القومي عرفها شعب في تاريخ الإنسانية، حملة كان هدفها أن تهزم شعبا من داخله، بعد أن حار أعداؤه في كسره من خارجه ففشلوا. جرت تلك الحملة هنا، على أرض مصر، حيث اتفقت مصلحة النظام وقتها، مع هوى أكبر فصائل المعارضة، فاجتهدوا جميعا لتشويه تاريخ هذا الشعب الحديث والمعاصر.

أما النظام، فكان قد تبني سياسة الانبطاح أمام الإرادة الأمريكية، ومن ثم الواقع الجديد لإسرائيل بوصفها دولة المحور في الشرق الأوسط. وصار من مصلحته بطبيعة الأمور أن ينسى الناس أيام مجد لم يتقادم بما العهد بعد. صار من مصلحته أن يتحول انتصار الشعب في ١٩٥٦م إلى هزيمة، وأن يتحول انتصاره الجيد في ١٩٧٣م إلى محاولة بطولية انتهت بمجرد تدخل أمريكا!! وأن تتحول هزيمة ١٩٦٧م من هزيمة جولة إلى عقدة أبدية، وأن تتحول حرب ١٩٤٨ ببطولاتها إلى "علقة" للجيش العربي!!

كما صار من مصلحته أن ينسى هذا الشعب كيف قام بالثورة تلو الثورة في تاريخه الحديث، من ثورة ١٨٠٥م، للثورة العربية بقيادة "أحمد عرابي باشا" في ١٨٨١م، لثورة ١٩١٩م بقيادة "سعد زغلول باشا" ورفاقه، وثورة ١٩٥٢م. أربعة ثورات جرى تهميشها أو تشويهها، فصارت "هوجة عرابي"، و"انقلاب يوليو"، وصار الحديث عن خنوع المصريين

وصناعتهم للفراعين حديثا مقدسا على موائد المثقفين قبل البسطاء. وتحول السؤال المنطقي وهو "متى يثور المصريون" إلى سؤال مرير هو "لماذا لا يثور المصريون؟"، كأن عدم ثورتهم على الظلم صار واقعا نسعى لفهمه، وليس مرحلة نسعى لتغييرها!!!

هكذا اقتضت مصلحة النظام، أما أكبر فصائل المعارضة - أو التي يفترض أنها كانت معارضة - وهو تيار اليمين الديني، ممثلا في جماعة الإخوان ومن لفَّ لُفَّها، فقد وافق هذا النهج من النظام هواهم. ولم يكن إسهام أعلامهم ومنابرهم في تشويه تاريخنا بأقل من إسهام النظام. فمن مصلحتهم أن يرى الناس تاريخهم كله محنة، وأيامهم كلها من هزيمة إلى هزيمة، ومن انكسار إلى انكسار. ليصبح تيار دعاة دولة الخلافة عندهم هو المهدي المنتظر، الذي يستدعي لهم من التاريخ البعيد مجدا، نفاه بنفسه عن التاريخ الحديث والمعاصر.

حتى جاءت ثورة ٢٥ يناير، وبعدها ثورة ٣٠ يونيو، وسقط نظام مبارك وبعده الإخوان، لبدأ الشعب رحلة البحث عن ذاته، وتاريخ رجاله وأبطاله من جديد. فالتجربة قد فندت له ما درسه في المناهج الدراسية، وما قرأه من رفوف المكتبات على السواء.

وسلسلة أغلى الرجال، سنطالع فيها معا قصصا لرجال عاشوا بيننا في الماضي، فصنعوا حياتنا في الحاضر، أو بمعنى أدق، صنعوا أفضل وأنبل وأنظف ما فيها. ولو كانت تلك القصص في شقها الدرامي من خيال مؤلفها، فهي في شقها السياسي والعسكري والمعلوماتي تلتزم التاريخ، ولا تستلهمه فحسب. نكتب تاريخهم وبطولاتهم الواقعية التي فاقت الخيال، من أجلنا نكتبه وليس من أجلهم، ومن أجل مستقبلنا نقرأ فيهم ماضيينا،

فتلك القصص لن تعرفنا هؤلاء الرجال وحسب، لكنها ستعيد تعريفنا من خلالهم بتاريخنا الحقيقي الذي تعمد الجميع وتعاون الجميع لتشويهه. والله من وراء القصد وبالله التوفيق.

القاهرة في خريف ٢٠١٣م

المؤلف

(١)

## يوم فاض الغيظ دما

الزمان: أغسطس ١٩٦٣م

المكان: موقع تمركز القوات المصرية على طريق صعدة-حرض، اليمن.

تحسنت سيطرة القوات المصرية على الساحل الغربي، ومضيق باب المندب، والمدن الرئيسية في الغرب بحلول صيف ١٩٦٣م، خلال أحداث حرب اليمن؛ وكان الشريط الممتد من "حرض" شمالاً إلى "تعز" جنوباً تحت سيطرتنا، عدا الحدود اليمنية - السعودية بأقصى الشمال، والتي بقيت بها جيوب لقوات الملكيين بقيادة الأمير "عبد الله"<sup>1</sup>. كذلك مناطق "لحج"، والمناطق الجبلية المتاخمة لمحمية عدن في أقصى الجنوب، والتي تركزت بها قوات أخرى للملكيين بقيادة الأمير "البدري" نفسه<sup>2</sup>، مدعمة بقوات المرتزقة البلغار والبلجيك.

في ذلك اليوم الصيفي المطير، كانت القوات المصرية في طريق عودتها إلى مركزها الرئيسي في "حرض" شمالاً، بعد أن انتهت من إخضاع وادي "مأرب" و"حريب" بمعاونة قوات الجمهوريين اليمنية، وكانت كتيبة الصاعقة تتحرك في مقدمة القوات كما كانت دائماً

<sup>1</sup> اعترفت إسرائيل فيما بعد بدعمها لتلك القوات بالسلاح والعتاد عن طريق جسر جوي

<sup>2</sup> الإمام محمد البدر بن أحمد حميد الدين، آخر حكام المملكة المتوكلية في اليمن، وإمام الطائفة الشيعية الزيدية فيها

خلال المعارك منذ وصولها لليمن، وكان اسم قائدها الرائد "إبراهيم الرفاعي" قد اقترن بالنصر والفتح في ذهن القوات المصرية، وكذلك بين قوات الجمهوريين اليمنيين، منذ معركة "العرقوب" قبل هذا اليوم بشهور. فقد استطاع خلالها أن يقلب حصار الملكيين للقوات المصرية وقوات الجمهوريين إلى حصار للملكيين أنفسهم، بعد أن اعتلى "الرفاعي" وجنوده المرتفعات، وحرم الأعداء من الحركة بمركباتهم، فقد تغلب بميزة الارتفاع على العيب الأساسي في قذائف "آر- بي- جي" الروسية القديمة من الجيل الثاني، والتي كانت محدودة المدى؛ وبلغ من تدمير قواته لمركبات العدو حد استخدامهاهم للجمال، وصعودهم على المدقات الجبلية للهروب من قذائف الصاعقة المصرية.

في الثانية عشرة في منتصف تلك الليلة الحارة من أغسطس، كان المساعد المشرف على طاقم حراسة الليل يسلي نفسه بالاستماع للراديو الصغير، والذي ضبطه على إحدى الإذاعات الناطقة بالعربية، والتي كانت بريطانيا تبثها من قاعدتها في "عدن". كان قد ضبط المذيع ليجعل صوته خفيضا كالهمس، فهو يعرف أن الرائد "الرفاعي" أصدر أوامره بعدم الاستماع لتلك الإذاعات، لكن المساعد الشاب فشل في التقاط أي إذاعة أخرى، وكان النوم في خلال وردية الحراسة أخطر من الاستماع لها .. أو هكذا ظن. حيث كانت الحراسة الليلية في حرب اليمن أكثر حيوية منها في غيرها، فقد كثرت الغارات الغادرة على أطراف المعسكرات ليلا، من قبل قوات الملكيين والمرتزة البلغار، حيث كان من أكثرهم بالمال، ينفحوهم مبلغا محترما عندما يأتون بما يثبت اغتيالهم لجندي مصري، وكانت المكافأة تزيد لو كان ضابطا!!

كان يمسك جهاز الراديو في يده اليسرى، عندما صعقته قبضة حديدية تمسك بذراعه، وتستولي على الراديو في لحظة واحدة، التفت يسارا لتصطدم عيناه بعيني الرائد "إبراهيم" شخصيا، كان يواجهه بملاحمه الصارمة التي تبدو منحوتة من صخر حين يتجههم ويعقد ما بين حاجبيه. ارتعد المساعد الشاب رعدة هزت كيانه، لكنه لم ينطق ببنت شفة. خاطبه قائده، بصوت منخفض - لكنه يخترق أذنه وكيانه كله - قائلا:

- بتكسر الأوامر وتسمع إذاعة عدوك؟

في اللحظة التالية، ودون أن يرفع "الرفاعي" عينيه عنه، كانت يده تضرب الصخرة القريبة بجهاز الراديو ليتفتت ألف قطعة تنتشر في الظلام. ثم يقول:

- المرة دي كفاية كسر الراديو وخدمة زيادة، بكرة تريح برنجي وتقف حراسة كنجي  
وشنجي<sup>3</sup>. لكن لو اتكررت .. إنت عارف  
- تمام يا أفندم .. أنا آسف يا أفندم.

استدار "الرفاعي" يمشي بقوامه الرياضي الرشيق مفتول العضلات نحو خيمته. كان العريف يتابعه بعينيه، فهل شعر بالغيظ المكتوم في تلك اللحظة من قائده؟ من يعرف علاقة "الرفاعي" برجاله يعرف أن حدود الغيظ في صدر الجندي هي نفس ما يمكن أن يشعر به الابن نحو والده حين يعنفه على التقصير.

<sup>3</sup> الأسماء العسكرية لنواات الحراسة، وتبدأ برنجي في النوبة الأولى، يليها كنجي ثم شنجي، وهي ألفاظ تركية الأصل

كان "الرفاعي" حازما - بل قاسيا - خلال التدريبات، كما كان عسكريا من طرف رأسه لأخص قدميه، يقدس الانضباط ولا يتهاون فيه؛ يلزم نفسه به قبل غيره. وكان صلب الرأي، لا يكون رأيا بسهولة، ولا يتراجع عنه بسهولة. لكنه في لحظات النار، في قلب المعارك، كان أيا للجميع بحق. كانت له قدرة عبقرية على التحرك في كل مكان خلال الاشتباكات، حتى كان يشعر كل رجل من رجاله أن "الرفاعي" خلفه يحمي ظهره. كان يتقدم قواته مهما كانت المخاطر؛ ويقوم بعمليات الاستطلاع في أدق المواقف بنفسه. كما لم يكن أبدا يترك من رجاله جريحا خلفه. كان "الرفاعي" هو خوفهم الأكبر في المعسكرات، لكنه كان أمهم الأكبر في المعارك.

لكل هذا حزن العريف الشاب على مدياعه الذي تحطم للأبد، لكنه لم يكن ناقما على قائده، فهو قد شرح لهم من قبل خطورة سماع تلك الإذاعات التي تستهدفهم، وقد أنفقت عليها بريطانيا مئات الألوف لتبليبل عقولهم، حين تتحدث عن "الكفرة" الذين جاءوا من مصر، ليحاربوا الإمام "حفيد رسول الله" في أرض أجداده<sup>4</sup>. كأن ثورة لم تقم في اليمن، ولم تطالب بإزاحة الأمير الذي كان يحتجز البلاد في القرون الوسطى، وكأن وفودا من الثوار الجمهوريين في اليمن لم تأت لمصر، تطلب من "عبد الناصر" التدخل، لا لمواجهة اليمنيين، وإنما لمواجهة من اكتراهم الملكيين بأموال الشعب من المرتزقة لقتال الشعب الثائر.

<sup>4</sup> حقيقة تاريخية، حيث كانت تلك الإذاعات تستخدم رابط النسب بين أئمة اليمن وبين الرسول لتصوير الأمر بأنه عدوان على آل بيت النبوة، لما تعرفه من مكانة آل البيت في نفوس المصريين.

عندما دخل "الرفاعي" خيمته لم يستطع النوم، كان الجو حارا، وكان عقله مشغولا بترتيب تحركات القوات في اليوم التالي. لم تمر ساعة حتى كان الملازم "يوسف" من سلاح الإشارة يستأذن ليدخل خيمته، قام "الرفاعي" الذي كان ممدا بملابس الميدان فوق فراش من الحصى، ورد التحية للملازم الذي بدت ملامحه مرعدة وهو يقول:

— إشارة من تعز يا فندم.

أوماً "إبراهيم الرفاعي" برأسه مستعدا لتلقي الإشارة. لكن "يوسف" لم يتحدث، وبدا كمن يحاول أن يحرك شفتين لا تطيعان على الكلام. استنتج "الرفاعي" أن محتوى الإشارة أخبارا سيئة من قيادة العمليات الجنوبية في مدينة "تعز"، فشجعه قائلا بلهجة حازمة:

— هات الإشارة يا ملازم "يوسف".

— البقاء لله يا .

" " " شقيقاه "

!!! لم يخرج " " " يحرك .

يا " "

— " "

صدره، وبخدر فاجأه في

" "

.. " " ..

في خشبي

يا

الأكبر

في

التي " "

لم في

في صدغيه متشنجة الألم. عيناه

في

يا في

أخيرا يا

" "

:

—

لم غدير ألم فائده،

" "

قولها

:

" لتطهير الجنوبي

في

—

.. يا

" "

" "

لصالح

..

يا

في شمال "

" " اليمنى سماعه التي بخيانة

نا

التي يحركها في بحيويتها  
فقد كانت اليمن بثورتها تلك، وفي إطار الصراع القومي الذي خاضته مصر،

يا

في

نا

فتحجم من النفوذ البريطاني الممتد له من قاعدة عدن الجنوبية.

!

" " قائده، لم يحرك حتى سمع

:

يا

"

"

"

يا

— سيني

في

يا

!!

يا

"

"

"

"

يا

لم

!

في

لم

بصدره نا

تاوه

!!

نيران صدره تخرج

نا

نا يجتاح

.. حتى

ته

أحشاءه في صدره  
النيران !!

يخالط

في .. التي

- في - قهره

لم .. قهره " "

كره أن يبقى في عروقه، بعدما عرف أن دم شقيقه أسالته يد الغدر، فراح ينزف دماء جوفه  
بعمق الليل، وبغير جراح، غير جرح الفؤاد!!

( )

الزمان: ربيع ١٩٦١م

المكان: منزل الأنسة "نادية التهامي" خطيبة النقيب "إبراهيم الرفاعي"، القاهرة

هناك امرأة تعرف عندما تراها للمرة الأولى أنها هي المرأة، هي من سوف يقترن اسمها  
باسمك للأبد، هي من سوف تجري دماها مع دماك في جنين يجمع بينكما، هي المرأة القدر  
لو جاز التعبير!!

5 "أحمد" :

يا

أن "نادية" هي المرأة القدر، قدره الجميل الحبيب.

في لها ثم والتي

في يجلس  
بخطيبته في  
جميل  
الهندام حتى  
يا  
عيناه  
في  
ودار حوار عادي يشبه ما يدور بين أقرانها من المقبلين على ارتباط العمر، في

ثم

!

لها :

أقولها

..

:

يا

أكثر

إني

نظ

نا

٩٥٦

في

يا

حياتي

6. حتى

ده؟!

في

قالها

يا

:

يا

ويحفظك، حتى

" " ! " ده

تاني،

نا

لم يجبرها يا يحدد

اعتقاده في

يا.

يراوده - في ليالي -

في يحمل " بي " اليمنى،

التي في

البريطانية في بورسعيد. كل ليلة، في ذروة النشوة،

صدره، في فراش

ياسما. لم ملامحه في مختلفة شعوره في

6 هذه الجملة قالها «الفعل في يوم الخطبة وفقا لرواية زوجته.

عمره. في عمره لها

الأولى، يا التي البريطانية في  
خالها . لكنه غير رأيه

يا .. .. المعنى تربي في  
جده <sup>7</sup> يا

في والده .  
أولاده يا

— لي في والإذاعة

تغادره، ثم يمدوء غامض محبب، كان سمته  
دائما عندما يتحدث عما يخص عمله:

— يا ستي.

<sup>7</sup> الأمير آلاي "عبد الوهاب لبيب"

في

لم

يا

سؤالها!!

. لهذا لم

الإجابة

هذه

"سمير غانم" 8 -

في

"بجبي" 9

ثم

"10 في

ودوره في الهجوم في "طرح"

في الهجوم 12

11

في تدمير

مرة محمد

٢٣

البريطانية في

وسيارتي

ديابات

التي التي

التي

8 البوزاشي "سمير محمد غانم" من المخابرات الحربية في 1956م، وهو المصدر الأول للمعلومات الواردة هنا حرب بورسعيد

9 قائد مجموعات المقاومة الشعبية من المتطوعين في بورسعيد، وهو المصدر الثاني للمعلومات الواردة

10 رتبته العسكرية خلال حرب بورسعيد

11 إبراهيم الرفاعي - نبيل الوقاد . محمد الجيار . محمد وهي . عبدالعزيز منتصر . طاهر الأسمر . مدحت الدري . سيد حسنين حطبة . عصام ابراهيم . عبد الله إدريس .

عبدالجواد الحسيني . محمد عبدالحמיד . فاروق الرفاعي . محمد عبدالفتاح . مدحت يوسف . حسن محمد السيد . وشهيد العملية الوحيد الجاويش رمضان عبدالرازق.

12 يحيي الشاعر - السيد الكومي - السيد عبدالغني . رشاد الطراييلي . السيد البوحي . محسن عبدالخالق . شعبان عبده . كامل فتح.



(٣)

## الجراح

الزمان: ٣ يوليو ١٩٦٧م

المكان: مكتب مدير المخابرات الحربية والاستطلاع، القاهرة

"محمد" 13

" "

استدعاه لهذا .  
لم خمس  
" " في :

— (٤٣) في

الجماهير، معنى يا " "

آثاره الجراح

في محدودة. حماسها،

في

يا

13 فيما بعد صار الفريق أول "محمد أحمد صادق" وزير الحربية اعتباراً من مايو ١٩٧١م وحتى أكتوبر ١٩٧٢م

— يا لإضافة استراتيجي "جمال" " —  
" 14 - وفي - يروح في .  
يعني: محدودة في .

يا " " ه  
لم في . ينتظرها بحجم الإحباط  
الذي أصاب القلوب في يونيو، بحجم مرارة الهزيمة لجيش لم يمكنه قاداته من الحرب كما  
يجب، ولم انتظاره؛ " "

— يا  
مني ده  
في ..

لم يحاول " " يخفي التي  
عيناه يا وارتحف شاربه الأسود المنمق فوق شفتيه  
حماسا وتحفزا، مقعده لقاتده :

— يا ظنكم.

14 الفريق أول "محمد فوزي"، وزير الحرية اعتبارا من ١١ يونيو ١٩٦٧م وحتى مايو ١٩٧١م، والذي أعاد مع الشهيد عبد المنعم رياض رئيس الأركان بناء القوات المسلحة المصرية بعد هزيمة يونيو.



بعمليات في العمق في سيناء،

في

نظ

يا " " ثم تا :

— مجموعتك يا " "

هيئة في تا ..  
.. وده تا  
الأولى.

قالها ويشير محدد البحيرات

:

(٤)

## النيران

الزمان: ١٣ نوفمبر ١٩٦٧م

المكان: الضفة الشرقية لقناة السويس

أولى " بنجاح يا .  
يا جمعت الذخيرة  
في صحراء سيناء، التي  
في مخازن البحيرات في ، حيث اعتقد العدو أن البحيرات  
لهذا .  
في دولي، كبرياء  
يا في " جمال " مجموعة  
لتدمير " هذه " في  
يا " " " في

يا مجموعة لهذا

" "

في ٤<sup>18</sup> عبر  
السلاح  
جميعا  
والذخيرة  
ارتجت يا  
الإسرائيلية التي كانت تحرس المخازن يا

لم يا حتى يا  
الإسرائيلي  
في  
بنجاح يا وسمع الأبطال صرخات ضباط وجنود الصهاينة تلي صوت الانفجار،  
بينما كانوا هم في رحلة العودة سالمين موفورين.  
يا " " يا  
بنجاح يشكره إنجاز.  
مجموعة التي

حتى في نوفمبر ٩٦٧ استدعاه " " في  
أخبره " يا " في  
ليشترك

17 رجعت خضير، رأفت جمعة، حسنى صلاح الدين يسرى، ورايعهم الرفاعي نفسه. وفقا لكتاب الأشباح للكاتب أحمد علي عطية الله

18 اختلفت الروايات حول ربيع العملية وقد أخذت بما رأيناه منطقيا أكثر وفقا للسياق العام

في  
: . قالها " يا "

— "إني  
" الثاني ده .. جمال

قالها " يا " يخرج  
لراجعة . لم راجعات - التي  
- في لهذا  
" يا " :

— ده وأهمية  
مقدروش يحددوا السلاح في

— تحيب لي " يا " . علشان نقدر نفهم السلاح الجديد  
ونجهز خطة للتعامل معاه.

" " في  
: هذه التي



الراجمة

لهذا

لم

يده

ياتجاه

سمع .. " " ..

يا

نجحت،

يا في

يا

حمل .

في

الإضافي

فاتجه .

ثم .

التي

لم ٤٨ حتى

يا

في

يا

الراجمات التي

!

"

"

تدمير هذه الراجمات .

اتجاه

اقترح "الرفاعي"

يا

يا

نحو

بالنيران

يا

يا

التي

يا

براجماتها

في

الحفاظ على سر السلاح لم  
وسمحت  
السلاح يا ولم  
حتى في معارك .

" يا " هذه  
الترقية الترقية  
في تاريخه الأولى  
نجمة يحصل .  
الترقية هذه

وتوالى العمليات بنجاح، وذاق جنود العدو طعم الموت والجراح، حتى كانت العملية التي صرخ على إثرها "موشي ديان" منفعلا في مكتبه. عملية كمين جبل مرجم.

في ٥ م، ١٩٦٨م، لم يكن الكمين الذي أعده الرفاعي ورجاله الأول

خسائرا كبيرة في الأفراد والمعدات، فضلا عن  
وهم يتحركون في سيناء. " "

كان الصهاينة قد بدأوا في تقليد فكرة خط ماجينو

١٩٣٠م، فقد اقترح الجنرال "حاييم بار- "

القوات المصرية دورية استطلاع إسرائيلية تأتي من العمق حتى منطقة جبل مريم -  
الإسماعيلية -

سيارتي جيب. رسم "الرفاعي" الخطة، وكلف الرائد "أحمد رجائي عطية" بقيادة القوات التي  
ستنفذ العملية. فقد كان يعود رجاله على العمل بدونه في بعض العمليات، ويقول لهم دائما  
" اللي يسيب وراه عشرة ينفعوا قادة لما يموت".

في البداية عبرت سرية الاستطلاع مكونة من "عبد المنعم غلوش" و"ماجد ناشد"  
و"هنيدي مهدي"، لتأمين منطقة العمليات، وفي حوالي التاسعة مساءً، أعطوا الإشارة



الزودياك، يحملون معهم ستة ألغام أرضية مضادة للدبابات، فلغموا الطريق المار بمنطقة  
جبل مريم حيث تمر السيارات كل يوم، وكمنوا بعدها خلف الكثبان الرملية المحيطة. وفي تمام  
الساعة التاسعة والنصف مساءً. ظهرت أنوار السيارات، ولم تمر لحظات حتى ك

الأول ينفجر في أولاهما، فظهر الأبطال من خلف التلال يمشون السيارة الثانية بوابل من  
قذائف الآر بي جي، وتطايرت أشلاء جنود العدو في الهواء، وبعدها خمدت نيران العدو،

" "

إصابته، كانت سعادتهم بأسره غامرة، كانوا يعرفون أن أسره يعني الحرية لعدد كبير

" حملة البطلان "سمير نوح" و"عادل فليفل" نحو قارب الزودياك  
عطية" والنقيب "إسلام توفيق" ليؤمنا وصولهما للقارب بالصيد الثمين.  
"الرفاعي" بالصيد الثمين كانت فرحته به غامرة، وكان في انتظارهم في مبنى المخابرات  
الحربية فور عودتهم، ومعه اللواء "صادق"، والذي أخبرهم في ذات الليلة بمنح ا  
!! "

(٥)

.. وبطلًا

الزمان: ٢١ يوليو ١٩٧٠م

المكان: غرفة مكتب الرئيس جمال عبد الناصر، بمنزله في منشية البكري.

" " " "

يا " " في في

توجس "الرفاعي" من تلك المقابلة، فقد كان الكلام يدور في صفوف الجيش عن قبول مصر لمبادرة وقف إطلاق النار لمدة ثلاث شهور. فهل سيخبره القائد العام بتوقف مجموعته لهذه الشهور الثلاث؟ حالة الحماس المتصلة التي تعيشها المجموعة، هي أهم أسلحتها على الإطلاق. واتصال النضال هو ما يحفظ شعلة الحماس تلك!

في المحدد " " ويبلغ

يا " " " " " " يبلغ يا

قاده يا

. لكن لماذا السيارة؟ إلى أين يذهبون في هذا

لم خمس حتى ليتركب "محمد  
" بجواره، :

— " يا " " معندناش " في

— يا رايحين

— " يا " " نا يا .

قالها " " يا .

انطلقت الانفعالات في صدر "إبراهيم".

لم "جمال" لقاءه !!

ثم " " !! وفي ! وفي

في تتردد " "

لهذه

" " يعتبرونه



- ثم اتجه نحوه ثم في : يده
- يا
- يا ومجموعتك
- .. ده تا كثير،
- في يا . وبعدين حضرتك لبستنا الأنواط أنا والمجموعة بإيدك بعد
- "!"
- أنا بتكلم عن اللقاء الشخصي ده يا "إبراهيم". مش قائد ميداني عادي علشان
- تا

كانت يسراه ما زالت فوق كتف "الرفاعي" فهزه تشجيعا وهو يقول:

- ه
- " ظلت هذه الكلمة تتردد في رأس البطل حتى النهاية، دائما يسمعها بـ
- الناصر"، وهو مقبل على كل عملية جديدة بعدها. كانت أعز عنده من كل أوسمته وأنواطه!

لهما، بيده :



بظهره

في

: .

" 20 "

إني

أأخذ سينا من غير حرب، ونخرج من القضية العربية، فخرجت وقتها في

:<sup>21</sup> .. في .. ٩

٣

المستر " طرح

لم

أكثر

قبولها

لم

غير رسمية في

التصريحات

يتمنى في

" "

: " "

" " " " الهدنة يا

قأها "

20 وزير الخارجية الأمريكي وقتها

21 مشروع التسوية الأمريكي المنفرد مع مصر حقيقي، وكذلك رد الرئيس عبد الناصر عليه، حيث كانت عقيدته دوماً أن أمل إسرائيل هو تفكيك الموقف العربي،

وأن تفاوض كل بلد عربي على حدة، فتلتهم الحقوق واحدة تلو أخرى، وهو ما حدث بعد ذلك «الفاعل»!!

- نا " يا " " إني

" " " " إني ده في

متوقع بالتالي

لم " " نحو

لتفسير

- نا

إمتى وإمتى

سمحت لي يا

" " " "

حتى

- ٣ -

يا

الطيران الإسرائيلي معادش يطير بحرية

يا " "

بجزعه مقتربا

وبنبرة أهمية .. :

- يا " " ..

السلاح نا هتعب

وبالتالي نحرك

ممكنة

حماية

حماية

الطيران

كيلومتر

، هتعتبر،

يقدر يركز على مساحة أقل يامنها في عمق سينا، من الكيلو ١٠

اقترب

نا الهدف

هذه

في

نا

يا

:" "

الحيرة ظاهرة

- سمحت لي يا .. عنده تا يا "

" "

غبر

يا

في

مخصوص

نا

في

" " " "

- الأولى سمع " "
- في " "
- في " " في " "
- شرفتوني
- ثم " "
- يدبحوه يا " "
- التمساح .. " يا " الكبيرة
- يجني .. ..
- التمساح، يا في
- نا.
- " يا "
- في ٩ ٩٦٩ . فعبّر " ومجموعته : ٩
- التمساح التي ٦
- يدبحوا ثم يحولوا دشمها إلى هب.
- يا
- يا

لم "جمال" " يا " ويتمنى

يجني يداه، في

٣٩



يطرده

..

.. الأخريرة!!

في في ..

بولي ٣٩ عمره.

سيفه في معركة الكرامة

"محيي نوح" في التمساح الأولى،

"عالي" إلى

وفي التي " " " "

"محيي نوح" " " " "

وأوصاه يا في

!! ..

"أحمد"

22" قلدهم " العريف "سمير نوح" وبقية

الأولى ٩٦٨ ثم "محيي نوح"

قلده في التالي،

يا " الدالي" " يحيى

22 اللواء أحمد رجائي عطية فيما بعد، ومؤسسة الفرقة ٧٧٧ لمقاومة الإرهاب

" في ٩٦٩ في والحفاظ روح في التي :

تذكر البطلين الشهيدين "عصام الدالي" و"عامر يحيى" رحمهما الله،  
. استدعى بعقله صورة الشهيد "عصام الدالي"، وهو يقول بصوت هامس:

- رحمة الله عليك يا "عصام" كنت رجلا بألف.

ولم يكن ما قاله "الرفاعي" مبالغة، فالدالي هو بطل عملية قصف إيلات الأولى التي  
قام بها منفردا في ربيع عام ٩٦٩ متزامنة مع عملية لسان التمساح الأولى،  
ورجح اللواء "صادق" القيام بها وتأجيل عملية لسان التمساح، حيث كانت ظروف  
التنسيق مع الجانب الأردني والفلسطيني مواتية وقد لا تتكرر. غير أن "الرفاعي" أجابه  
:

- أنا مجرد فرد من مجموعة الأشباح يا افندم. ويمكن العمليتين يت

نا .

على تنفيذ عملية لسان التمساح بنفسه.

وبالفعل سافر "عصام الدالي" للأردن بجواز سفر مدني استخرجته له المختبرات  
العامة. وهناك التقى بالمقدم "الدخاخي" وبعض عناصر من

والفلسطينيين للتنسيق للعملية. ومن منطقة الجبال المحيطة بميناء العقبة قبالة ميناء إيلات.

٣٣

الحربي. وبدأ وابل النيران. كانت فرحته في الصباح التالي وفرحة "الرفاعي" في مصر غامرة، عندما نشرت الصحف الصهيونية خسائر جيش الدفاع، والتي بلغت ٩٤

!

ولم تكن بطولته يوم قدم روحه لمصر أقل روعة. تذكر "الرفاعي" يوم الكرنينة. تلك ، والتي كان

اسمها.

كان هدف العملية هو تدمير مرسى السفن الذي صار تحت سيطرة الإسرائيلي، وسقائه الممتدة داخل مياه الخليج، والتعامل مع قوات الحراسة المتمركزة بالقرب منه وقوامها سريتي مدفعية ميدان من عيار ٥٥ مل، وفصيلة دبابات. وفي يوم ٦ عبرت خمس زوارق زودياك، كان "الرفاعي" مع الرائد "عالي نصر" على أولها، وعلى الثاني "عصام الدالي" و"وسام حفاظ"، وعلى الثالث "إسلام توفيق" والقيب "حنفي محمود"، وكل زورق به عدد من أفراد المجموعة، ومجهز بالمتفجرات والعبوات الناسفة اللازمة للعملية. لم تمض نصف الساعة حتى كانت المجموعة قد انتهت من تكمية كافية من المتفجرات، طلب "الرفاعي" من المجموعة الابتعاد بالزوارق لعرض الخليج،

وبقي هو قريبا من الشاطيء في زورقه ومعه "عالي نصر"، بعد أن سحب بيده أمان المفجر.

!

" "

" لافتراب ثلاثة مدرعات للعدو من شاطيء القناة باتجاه الزوارق،  
ويطلب منه العودة. لكن زورقي "الرفاعي" و"الدالي" تحركا في الاتجاه المعاكس لاتجاه العودة  
فورا .. نحو الضفة .

وقف "الرفاعي" بزورقه بجوار السقالة وقام بإشعال فتيل العبوة الأولى يدويا، قبل أن  
يستدير الرائد "عالي" بدفة الزورق مسرعا لابتعد عن موقع الانفجار! وبدأت النار تنهمر  
من المدرعات الإسرائيلية على زوارق المجموعة، قبل أن يدوي الانفجار الكبير ويتحول  
سى والسقالة البحرية لكتلة نار. في ضوء الانفجار رأى "الرفاعي" زورق "عصام الدالي"  
يا "عصام" فورا بإصابة بالغة في عنقه  
يجبى عامر"، ولا ينجو من الزورق غير البطل "وسام حافظ"<sup>23</sup>.

تذكر "الرفاعي" كيف خسر "الدالي" مباراة الشطرنج للمرة الأولى يومها، فقد كان  
طوال اليوم السابق على شهادته في حالة حاملة تشبه  
!

23 مصدر وقائع تفجير الكرتينية من كتاب الأشباح، للكاتب أحمد علي عطية.

## (٧)

الزمان: ٢٢ يوليو ١٩٧٠م

المكان: مقر المخابرات الحربية بالإسماعيلية

يا  
كفيه وهو في مقعد السيارة الخلفي، وهو يترحم على روح زميليه. وسأل نفسه: لماذا

لم يجد تفسيراً سوى أنه يحاول  
الأخير . لم  
تفسير  
: الأخير - - في  
"نا"  
في بعده في استشهاده.  
في حتى

! يا ٣٩ .. مجموعة الأشباح .. في  
في



- يا وَحْش؟

- يا بابا ..

- يا .

يا

يا

نجمة الصهيوني،

25

الهدف

- في حتى - " " "

" "

: نمطي،

يا

- ويحقتون أطفالهم جميل، تري

ي

يري ولده

نا

يحتاج عدوه.

25 هدف التصويب وعليه علم إسرائيل هذا حقيقة رواها ولده العقيد "سامح الرفاعي" في حوار صحفي في أكتوبر ٢٠١٢م

في التالي الترتيبات في " " " " "

يا وشمل  
المحتلة،

وهذا التمويه أمر تكرر حتى قبل وقف إطلاق النار، عندما أعلنت منظمة "فتح"  
" "

لإطلاعهم في  
في الاسماعيلية لم

ممكنة

في في في

دخل "الرفاعي" إلى غرفة المكتب الداخلية، حيث كان الضباط ينتظرونه، بعد أن  
اتصل بهم يخبرهم بالإجتماع العاجل. بعد تبادل التحيات مباشرة ألقى القائد قبيلته  
وسطهم! لقد اختار أن يقدم لهم الأمر بتكتيك الصدمة، فقال وهو يجلس ويشير لهم  
:

- هنا يا جماعة، وعملية مطار الطور هي آخر

٣٩ قتال، وحتى إشعار آخر.

نظر في وجوههم يطالع نظرات الدهشة والترقب! فاستأنف قائلاً:

” ” -

في احتفال عيد الثورة.

انقلبت الدهشة إلى صدمة كبيرة أجمت الألسنة، ودارت لها العيون في المحاجر. وبدأ  
أسود المعارك وكأنهم تصدعوا من الخبر كما تتصدع الجبال. لم يتركهم على هذه الحال أكثر  
من دقيقة واحدة قبل أن، تتحول ملامحه وتعلو وجهه الابتسامة وهو يقول:

- إيه؟ مالكم؟ اللي عاوز يحارب هيحارب! بس المرة دي من غير أوفرول ولا رتبة ولا  
شارة. يعني هنشتغل كمدينين يا رجالة، زي أيام بورسعيد.

سرعان ما عادوا للترقب من جديد، وهم يتابعون خطة القيادة التي وضعتها حتى  
يتمكنوا من الاستمرار في ظل وقف إطلاق النار، تحت اسم منظمة تحرير سيناء. وبدأوا في

لم  
في فترة يا  
.. ..  
!!

(٨)

## النيران

الزمان: ١ أكتوبر ١٩٧٠م

المكان: المقر السري لمنظمة سيناء العربية في فيلا معزولة بالإسماعيلية.

الجماهير الهادر المحزون،

نواح :

يا جمال .. يا -

كفاح ..

في .. يا جم

جمرة ..



ثم

" "

..

:

- انتباه .. انتباه.

هم

خبرة

انتباه!!

ثم

" " بشخص

اليمنى

انتباه،

" "

غير يده

:

في

معندناش ..

- الجماهير ممكن

حماسنا نا نا نا نا نا ..

- .. نا نا نا نا نا ..

حتى " " - كابتن "غزالي" 26 يا

يقصده فساعده " " " لم الذاكره في  
:

...

تذكر "سليمان" على الفور أغنية الكابتن "غزالي" فردد كلماتها:

.. نسِنُه .. .. ونجيب ..

.. " نلم ...

يده " " الألم في تقلص  
هم في في محتويها،  
:

.. " " .. .. ونجيب ..

قالها "جمال" "لي في

26 مؤسس فرقة أولاد الأرض عقب نكسة يونيو، وصاحب أغاني: غني يا ستمسية وعضم اخواتنا وغيرها

لي " تا تدبجهم " ...

.. مبناش .

.. السلاح في .. ويسمعه .

قالها بصوت يفجر الصخور من قوته، فاهتزت قلوبهم لفكرة القتال في تلك الليلة، كانت فكرة عبقرية، من حيث المعنى والمضمون والأثر على قلوبهم المكلمة. استمر القائد :

- " " ميتهنوش  
" " .. في يخرجها ..  
.. نيران.

نبرته يسأهم:

- في عنده

- يا

:" "

: بيمناه " ثم قالها "

- وراه .. السلاح .. طول ما هو رافع السلاح.

"عالي" "الإشاعات التي  
:" "

- " " غير ده

بالإرهاق يا

عربي أجنبي، ده .. ده

يا

قالها يشير نحو بيده، ثم : تا :

- نقولها تاني يا رجالة: " " ..

- .. .. ونحيب

إلى روح

تا في . فأصدر القائد أمره وهو يرى الحماس وقد عاد

ط :

- يا .. في

قالها

تا

عدوه،

يجول نيران

في نيراننا

.. "

الكبرى.

الرسمي ... حتى



"مائير" 27 -

" يحمل "

أنتم تتركون بحجة !! في

ويعجده. يا

هاجمته في

الطبي " " ٧

يا اهليكويتر بحجة مغص ألم شم ميداني إلى " "

يا

" في بغير طبي

" جمعنا النواح " " "

28

الإشارة

يا اهليكويتر، في

في التالي، حضر " " نا " " "

" "

27 حقيقة تاريخية

28 التسجيل الصوتي والامام الجنرال جونين لشارون الحروب من المعركة بحجة المرض حقيقة تاريخية، من ملفات لجنة آجرات

في " " إبعاده. " " نا

كبيرة أمام اللجنة، لكن الأمر كان مختلفا في منزله!!!

" " " في انتظاره،

في " " " في " " بحجة

" " " التي " " " كثيرا، لم تجد

لم " " هذه

الكثير : بأعما

" " كثيرا

" يا "

كبيرا

حتى الهروب

" " لهذا

: ملامحه التي حتى لم

في نا —

يا —

والهروب المفص —

نحوها بجسده

ها

يا

:

— نا لم

لي في

كهذه.

خطتي ومبادرتي في

لإسرائيل

!! تجديف

بمغص

" "

الإرهاق.

" ! يا " " أطلقوه في "

في لهذا

:

لم .

" "

هذه

شخصيتي . لأنني

" نا "

الإشارة التي

هي مجرد

ثم طيرانك

نا ولأنني

ويكفيني .

تكفيني

نيران

في

:

" بمعنى اسمه العربي. "

تطير. :

" " .  
ترك  
" " ..  
في  
:

حتى في قبره!!



تأ

. وقد قاموا بتلك المهمة التي سبقت العبور مباشرة بكفاءة

كاملة، كفاءة من عرف صحراء سيناء عن ظهر قلب عبر ست سنوات من حرب

يا هـ .

التالي، النيران في يا بتول

نا

الأولى يا في يا .

في ظهرا

" "

هليكوبتر في يا

التي في

النيران في يا البترول

مجموعات.

يا ارتجت .

التي يا " "

في هذه

لم

	بيده	٦	٦	٦	٦
	في	٦	٦	٦	٦
المحدد لإتهام	" "	" "	" "	" "	" "
	٦	٦	٦	٦	٦
٣٩ - التي	٦	٦	٦	٦	٦
	في	٦	٦	٦	٦
	محمد	٦	٦	٦	٦
" "	لتدمير	٦	٦	٦	٦
" "	في	٦	٦	٦	٦
	في	٦	٦	٦	٦
	في	٦	٦	٦	٦
	الثاني	٦	٦	٦	٦
" "	الثاني،	٦	٦	٦	٦
	المهجوم نحو	٦	٦	٦	٦
	المهجوم يا	٦	٦	٦	٦
	٤	٦	٦	٦	٦

- هما

المهجوم

الثاني الميداني،

-

التي في

تا

الطيران

الجيوش، والتي

يا !!

الإسرائيلية،

الثاني

" "

" "

يا

للإسماعيلية، وعبرت

وحدثت ظروف معقدة

التي حماية ٣-

-

خمس

في القيادة المصرية، ف

محاصرا.

..

مشاه

" "

الشهير

المهجوم،

" الشاذلي "

"

لهذا

بجانب

في

المهجوم

29

ولم

-

-

نحو

التي

٤

" يحترق "

"

المهجوم

الثاني،

الاستراتيجي،

في الأمر

لم

حفاظا

٧

حتى .

لم

نحو

في

تعبير

الإسماعيلية.

"عالي"

" في

في

الإسماعيلية،

نحو

" "

الإشارة:

الإسماعيلية

يا

..

يا

-

:

الإشارة

ثم

"

"

- .  
الإشارة "عالي" " في " " :  
محاو لا يسبر . ثم :

- يا  
" " :  
ثم في :

- يا افندم الموضوع مش لعبة، ده شارون! الأفعى!!

- نا !

قالها مبتسما يحاول أن يخفف من حدة الموقف، لكن هذا لم يخفف من توتر الدكتور "عالي"  
:

- خمس يا !!!

- يا "عالي". في مجلس !!

- يا .. " "

- " " . خلص .



مياه	المالح	"	"	
بِالإِفْطَارِ.	يَا	سحوره،	"	"
المهجوم.	الهم	" يَا سَمَا	"	
"	"	فرغ سحوره نَا	حتى	
"	"	يبي في لِي		
	يجيد الإيقاع،	:		
		"	"	-
الإيقاع:		"	"	
	يا ..	يا		
	...	-		
	يا ..	يا		
وجدوه	التالي	يا	همت لِي	
:	الاسماعيلية		حتى	
		يا		-



نظره نحوها ليرى حتى

!!

حوالي مترين

" "

يايا

لي

" يجهز الذخيرة في

نحوه، بمواسير

محتميا

" "

بجسم

"

يجذب "

" ويحاول "

يا يده.

" " في

تطاير الرصاص

في " "

"عالي"

...

مترين

بجانبيه،

يمينه التي

" "

... يايا

باتجاه

وحمله

